

علم الدلالة/ المفهوم والعلاقة

Semantics/concept and relevance

د، ياسين بغورة¹

yassinebeghaura@yahoo.fr

جامعة برج بوعريريج

تاريخ النشر: 2019/11/06

تاريخ القبول: 2019/06/08

تاريخ الاستلام: 2019/12/10

ملخص: إن الاهتمام باللغة حتمية اجتماعية، كونها ذخيرة الأمة، وركيذتها التي تبني عليها حضارتها ومجدها، وهي وسيلة تواصلية تحقق تفاعل المجتمع واستمرارته، واللغة مجموعة من المستويات المتكاملة التي تحقق باجتماعها، المعانى المراده، ولا تتحقق هذه الفائدة إلا بتتوفر المستوى الصوتي والصرفى والنحوى، ثم يأتي المستوى الدلائى الذى يتوقف عند المعنى، لذلك تستوقفنا هذه الدراسة عند هذا المستوى، لما يحمله من أهمية بالغة في الدرس اللغوى، محاولين الإجابة عن إشكالية متعلقة بالمفهوم والعلاقة.

الكلمات المفتاحية: الدلالة، اللغة، المستويات، المعنى.

interesting in language is a social necessity since it is considered not only as the linguistic provision of any nation and the pillar on which it builds its own civilization and glory, but also the means of communication that ensures interaction and continuity of society. In fact, the language is a set of levels that complement each other and ensure by their meeting the desired meanings, but it is impossible to reach this goal only by the union of the phonological, morphological and grammatical levels, then that of the semantics in which is formed. meaning. This is why this study tries to take an interest in this last level, in particular to answer to the problematic relating to the concepts and relations.

Keywords: significance, language, levels, meaning.

¹ - المؤلف المرسل: ياسين بغورة، الإيميل: yassinebeghaura@yahoo.fr

لا يستطيع الإنسان أن يعيش بمنأى عن مجتمعه، فهذه طبيعة البشر تحتاج إلى التأثير والتأثر والعيش والتعايش، ولا يتحقق ذلك إلا بوجود طرائق لحفظ هذه العلاقات وتحقيق الاستمرارية، وهذا يتطلب لغة تحفظ عملية التواصل الاجتماعي.

واللغة تستوجب فك رموزها لتبلغ الرسالة وبلغ العمليات التواصلية، والدلالات مسؤولة عن فك الإبهام وتحقيق التواصل، وهذا ما تبناه علم اللغة ووضعه اللغويون على عائق علم الدلالة. وقبل الحديث عن نشأة علم الدلالة وتاريخه وعلاقته بالعلوم الأخرى، ينبغي علينا أولاً أن نقف عند مفهومه.

1- **علم الدلالة: 'توصيف المصطلح'** : إذا أردنا أن نعرف علم الدلالة، فإنه يستوقفنا المصطلح أولاً، فنقول: جاء في هندیب اللغة للأزهري في قسم (دلل): "دل ، يدل ، إذا هدى ، ودل إذا من بعطايه ، والأدل: المنان بعلمه ، والدليل من الدلالة ، بالكسر والفتح، ودللت بهذا الطريق دلالة ، أي عرفته"¹ "والدلالة مصدر كالكتابة والإمارة، والدال من حصل منه ذلك، والدليل في المبالغة كعالم وعليم وقدر وقدر، ثم يسمى الدال والدليل دلالة، كتسمية الشيء بمصدره"².
علم الدلالة في الاصطلاح:

حدد مفهوم علم الدلالة بيير غيري بقوله: "علم الدلالة هو دراسة معنى الكلمات"³ وعرفه يانسن : " هو العلم الذي يبحث في معاني الكلمات وأجزاء الجمل ، ونعني بذلك علم الدلالة اللغوي ، أي ذلك العلم الذي يبحث في اللغات الطبيعية عندما يعتمد على نظرية معينة لتفسير المعنى وبعد هذا العلم فرع من فروع علم اللغة وأداة اللغة فيه هي اللفظ أو الكلمة"⁴

وهناك من يرى أن الدلالة هي السياق أو الأسلوب⁵. أما في اللغة الإنجليزية فقد أطلقت عليه عدة أسماء أشهرها الأن كلمة semantics وفي اللغة العربية بعضهم يسميه علم الدلالة بفتح الدال وكسرها وبعضاً يسميه علم المعنى.⁶ ويحذر أحمد مختار عمر من استعمال كلمة الجمع وهي علم المعاني لأن علم المعاني فرع من فروع البلاغة ، وبعضاً يطلق عليه اسم السيمانتيك أخذها من الكلمة الإنجليزية أو الفرنسية. يعرفه أحمد مختار عمر أنه دراسة المعنى أو العلم الذي يدرس المعنى أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى ، أو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادراً على حمل المعنى.⁷

ويقف الجرجاني عند الدلالة ويقول فيها: " الدلالة هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر ، أي هي إحالة بمعنى آخر أو إيحاء لمعانٍ جديدة انطلاقاً من الكلمة الأولى.

2- موضوع علم الدلالة: من خلال التعريفات السابقة يتبيّن أنّ موضوع علم الدلالة هو كلّ شيء يقوّم بدور العلامة أو الرمز، وتختلف هذه العلامات أو الرموز وتكون إما إشارة باليد أو إيماءة بالرأس، أو كلمات وجملًا، قد تكون هذه العلامات والرموز غير لغوية وتحمل معنى.⁸

ورغم هذا الاهتمام الذي يبديه علم اللغة بدراسة الرموز وأنظمتها حتى ما كان منها خارج نطاق اللغة ، فإننا نجد هنالك على اللغة من بين أنظمة الرموز باعتبارها ذات أهمية خاصة بالنسبة للإنسان ، ومن الموضوعات التي يتناولها هذا العلم "البنية الدلالية للمفردات اللغوية، العلاقة الدلالية بين المفردات ، كالترادف والتضاد ، المعنى الكامل للجملة وال العلاقات القواعدية بينها ، علاقة الألفاظ اللغوية بالحقائق الخارجية التي تشير إليها".⁹

وإذا نظرنا إلى الغرب نجد أن بعض الأبحاث التقليدية السائدة عندهم ، تعرف باسم علم الدلالة التاريخي، الذي يدرس الكلمة المفردة، وتاريخها وتطور معانها عبر العصور.¹⁰

3- نشأة علم الدلالة:

3-1- تاريخ علم الدلالة عند غير العرب: إذا أمعنا النظر في الدراسات القديمة، نجدها ولا شك تطرقـت في بحوثها ومناقشاتها لموضوعات تعد من صميم علم الدلالة، ومعنى هذا أن الدراسة الدلالية قديمة قدم التفكير الإنساني ومواكبة لتقدمه وتطوره.¹¹

وقد بين أرسطو الفرق بين الصوت والمعنى، وذكر أن المعنى متطابق مع التصور الموجود في العقل المفكر، كما ميز بين أمور ثلاثة :

أ- الأشياء في العلم الخارجي

ب- التصورات: المعاني

ج- الأصوات: الرموز أو الكلمات

" واستمد الدلاليون ما كان لدى البلاغيين منذ أرسطو ، وفسروا تغييرات المعنى لغويًا في المجاز والاستعارات ، كما أئمـهم تابعوا تحليل التصورات فلسفياً وربطـها بالحقيقة وبالأشياء ، ثم ركزوا بحوثـاً لهم في عـلاقـاتـ الرموز بمدلولـاتـها ".¹²

وكان موضوع العلاقة بين اللـفـظـ ومـدلـولـهـ من القضاياـ الـتـيـ تـعـرـضـ لـهـ أـفـلاـطـونـ فيـ مـحاـورـاتـهـ عنـ أـسـتـاذـهـ سـقـراـطـ ، وـكـانـ اـتـجـاهـ أـفـلاـطـونـ نحوـ العـلـاقـةـ الـطـبـيـعـيـةـ الـذـاتـيـةـ ، مـدـعـيـاـ أـنـ تـلـكـ الـصـلـةـ الـطـبـيـعـيـةـ كـانـتـ وـاـضـحـةـ ، سـهـلـةـ التـفـسـيرـ فـيـ بـدـءـ نـسـأـتـهـ ، ثـمـ تـطـوـرـتـ الـأـلـفـاظـ وـلـمـ يـعـدـ مـنـ الـيـسـيرـ أـنـ نـبـيـنـ بـوـضـحـ تـلـكـ الـصـلـةـ ، نـجـدـ لـهـ تـعـلـيـلاـ وـتـفـسـيرـاـ.¹³ وـأـوـضـحـ أـرـسـطـوـ آـرـاءـهـ عـنـ الـلـغـةـ وـظـواـهـرـهـ فـيـ مـقـالـاتـ تـحـتـ عـنـوانـ الشـعـرـ وـالـخـطـابـةـ ، " وـبـيـنـ فـيـهـ عـرـفـيـةـ الـصـلـةـ بـيـنـ الـلـفـظـ وـمـعـنـاهـ.¹⁴"

وقد تساءل اليونانيون عن ماهية اللغة وأصلها ، وعن ماهية الكلمة ، وتساءلوا ، هل هناك علاقة طبيعية وضرورية بين الكلمة وبين الشيء الذي ترمز إليه.

أتعلق المعاني بالكلمة تعلق بالطبع أم تعلق بالاصطلاح؟¹⁵ أما الهندو فلم يكونوا أقل اهتماما بمباحث الدلالة من اليونانيين ، فقد عالجوها منذ وقت مبكر كثيرا من المباحث المرتبطة بهم طبيعة المفردات والجمل " بل لا نغالي إذا قلنا إنهم نقاشوا معظم القضايا التي يعتبرها علم اللغة الحديث من مباحث علم الدلالة".¹⁶

وفي أواخر القرن التاسع عشر تبلور مصطلح علم الدلالة في صورته الفرنسية على يد اللغوي الفرنسي بريال Breal "ليعبر عن فرع من علم اللغة العام هو علم الدلالات ليقابل علم الصوتيات الذي يعني بدراسة الأصوات اللغوية"¹⁷ وهذه الدراسة تعد أولى الدراسات العلمية الحديثة الخاصة بالمعنى التي قام بها ميشيل برييل في كتابه Essai de sémantique 1897 وكانت جهود برييل مأخوذة من دراسة اللغات الكلاسيكية اليونانية واللاتينية والسنسكريتية ، وكانت الدراسة الدلالية عند برييل متعلقة بالاشتقاق التاريخي ، ويبدو أن برييل كان يرى في الأصول التي تحكم تغيير المعنى خصائص عقلية مجردة، وذلك مثل الحاجة إلى الوضوح.¹⁸

ويتضح من هذا أن برييل ومن بعده بقليل كانوا لا يعنون العناية الواجبة بالجوانب الاجتماعية وغير الاجتماعية للظروف الإنسانية المتغيرة.

وظهر كذلك عمل لغوي ضخم للعالم السويدي أدولف نورين بعنوان Adolf Noreen 'لغتنا' وكان هنا في أواخر القرن التاسع عشر كذلك ، خصص فيه قسما كبيرا لدراسة المعنى ويعتبر سباقا في الكثير من النتائج التي توصل إليها ، وتعد أفكاره أساسا للكثير من النظريات التي طورها اللغويون الأوروبيون والأمريكيون فيما بعد، وبعده ظهر العالم ماكس ميلر Max Maller وهو من أسهم في وضع أساس دراسة المعنى.¹⁹ وتتابعت الدراسات الدلالية بعد ذلك فشخص كريستوفر Kristoffer Gustay Kristoffer Gustay سنة 1931 دراسة عن المعنى وتطوره ، ويعتبر ألمان بداية الثلاثينيات أهم فترة في تاريخ السيمانتيك ، فقد شهدت نضوج العلم الجديد وشهدت توسيع الفجوة التي هددت بتمزيق وحدته.²⁰

كما ارتبط علم الدلالة في هذه الفترة بأسماء مثل Alfred, Richards, " وأخرج الأولان عملا في علم المعنى تحت عنوان The meaning of meaning عام 1923 ، وحاولا فيه أن يضعوا نظرية للعلامات والرموز، وقدما ستة عشر تعريفا للمعنى".²¹

واختلف الأمر في الولايات المتحدة الأمريكية ، إذ أن الدراسات الدلالية حققت نجاحا على يد الأنروبولوجيين والسيكولوجيين أكثر منها على يد اللغويين ، وقدمو للعالم دراسات مقارنة لكثير من الحقول أو المجالات الدلالية، مثل: **اللفاظ القرابة وأسماء الأمراض وأسماء الألوان 22.**

أما المؤلفون الأوروبيون فيبرز منهم أسماء كثيرة منها :

Olman - الذي أثرى المكتبة اللغوية بكتب متعددة في علم الدلالة 'أسس علم المعنى علم المعنى ، المعنى والأسلوب، دور الكلمة في اللغة'.

Lyons - ليونس - والذي أصدر عدة كتب في علم اللغة منها: علم الدلالة التركيبية، علم الدلالة.²³

3- اهتمامات العرب: يعد البحث في دلالات الكلمات من أهم ما لفت اللغويين العرب وأثار اهتماماتهم ، والجهود والأعمال اللغوية المبكرة تعتبر من مباحث علم الدلالة ، مثل: تسجيل معاني الغريب في القرآن الكريم ، الحديث عن مجاز القرآن ، ومثل التأليف في: الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، إنتاج المعاجم الموضوعية ، معاجم الألفاظ و حتى ضبط المصحف بالشكل، يعد في حقيقته عملا داليا، لأن تغيير ضبط الحركات يؤدي إلى تغيير وظيفة الكلمة ، وبالتالي تغيير المعنى.²⁴

أما ابن خلدون في مقدمته فيذكر علم أصول الفقه، وما يلزم دارسيه فيقول: "يتعين النظر في دلالة الألفاظ، وذلك أن استفادة المعاني على الإطلاق من تراكيب الكلام على الإطلاق يتوقف على معرفة الدلالات الوضعية مفردة ومركبة ... ثم إن هناك استفادات أخرى خاصة من تراكيب الكلام ، فكانت كلها من قواعد هذا الفن ولكونها من مباحث الدلالة كانت لغوية".²⁵

يعد كلام ابن خلدون دليلا واضحا على وجود علم الدلالة منذ القديم وعلى اهتمام العرب به كونه حسب ابن خلدون أداة فاعلة للوصول إلى المعاني المبتغاة ، وعلى هذا الأساس نستطيع القول أن علم الدلالة يكتسي أهمية بالغة منذ زمن ، وكذا مكانة خاصة كونه يسلط الضوء ويحاول الوصول إلى المعنى مهما اختلف سياق الكلام ونوعه ، فيتعدى هذا العلم اهتمامه بالنص الأدبي، إلى علم الأصول وغيرها من العلوم، وعلى هذا يمكن الاعتراف بشمولية علم الدلالة .

ويؤكد النقاد على أن علم الدلالة يملك جذورا ضاربة في تراثنا العربي قبل أن تتمحض الدراسات الغربية ، باعتباره علمًا بذاته ، "فقد كان الخليل بن أحمد الفراهيدي في كتابه 'العين' حين يبحث في تراكيب الكلمات من مواردها الأولية في الجذر البنوي الحرفي ، هو الرائد الأول لهذا الباب لأن مهمته كانت لغوية إحصائية ولكنها تشير إلى دلالة الألفاظ كما يفهمها المعاصرون بقصد أو غير قصد".²⁶ ويرى عقید خالد حمودي العزاوي أن الجاحظ قد تناول في كتابيه *البيان* و*التبين* والحيوان مباحث لها ارتباط بعلم الدلالة ، فقد تناول الدلالة السياقية وتكلم فيها عن مناسبة الكلام لمقتضيات المقام، يقول الجاحظ: "ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوانز بينها وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك مقاما حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ويقسم المعاني على أقدار المقامات، وأقدار

المستمعين على أقدار تلك الحالات"²⁷ إذن هنا يتحدث الجاحظ عن الدلالة وأبعادها المخصصة لها دون أن تتعذر حدودها وتتجاوز مفهومها. وتنوع اهتمامات العرب بعد ذلك فخلطت جوانب كثيرة من الدراسة الدلالية ومن ذلك:

- محاولة ابن فارس الرائدة في معجمه 'المقاييس' ربط المعاني الجزئية للمادة بمعنى عام يجمعها.
- محاولة الزمخشري الناجحة في معجمه 'أساس البلاغة'، التفرقة بين المعاني الحقيقة والمعاني المجازية
- محاولة ابن جني ربط تقلبات المادة الممكنة بمعنى واحد.
- البحوث الدلالية التي امتلأت بها الكتب مثل : المقاييس لابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس ،
الخصائص لابن جني.....
- أبو منصور الثعالبي الذي نلمح أن منهج التنظير المتتابع متكاملاً لديه في التنقل بين حقول الألفاظ الدلالية، فمن دلالة لغوية إلى أخرى مجازية إلى أخرى نقدية، متربقاً بذلك في اللفظ بالدلالة من صيغة إلى صيغة.²⁸
- عبد القاهر الجرجاني يعد من الذين أحسنوا في تحليل وتصنيف أقسام الدلالة، وعمل نقاد العصر الحديث على وضع مقاربة بين ما قدمه الجرجاني وما قدمته البحوث الحديثة ، وجدوا أنها متطابقة فقد قدم نظرية في النظم التي تكلم فيها عن الصيغة الفنية التي خلص إليها في شأن الدلالة، وقد كرس الجرجاني اهتماماته في نظرية النظم ، على العلاقة بين اللفظ والمعنى.²⁹
- وحديثاً ظهرت أعمال إبراهيم أنيس ، محمود السعران ، تمام حسان ، أحمد مختار عمر....وغيرهم ممن أثروا المكتبة اللغوية العربية.

4- علم الدلالة ومستويات البحث اللغوي:

- 1-4- علم الدلالة وعلم الأصوات: إن طبيعة العلاقة بين جرس الكلمة ومعناها الذي تؤديه ، موضوع تطرق إليه العلماء والباحثون منذ وقت مبكر ، أي منذ مواجهتهم لعجب القرآن الكريم، واستخراج الأحكام الشرعية واللغوية منه ، سواء من علماء الفقه والأصول أو علماء اللغة والمفسرين، إدراكاً منهم للدور الفعال الذي تؤديه الأصوات للوصول إلى المعاني المراده من النص القرآني ، فدرسوا القيمة التعبيرية للأصوات، ومدى اتفاق المعنى مع جرس الحرف المختار ، وكان الخليل بن أحمد الفراهيدي من أوائل اللغويين الذين تنبهوا إلى العلاقة الكامنة بين جرس الأصوات ودلالةها إذ جاء عنه قولهم: كأنهم- يعني الناطقين العرب- توهموا في صوت الجندي استطالة ومدا ، فقالوا (صر)، وتوهموا في صوت البازى تقطيعاً فقالوا (صرصر)،³⁰ هذا يبين ترابطه وثيقاً بين اللفظة والصوت فكلما تغير الصوت تغير معنى الكلمة، فاستمرارية النغمة تؤدي معنى مغايراً للنغمة المتقطعة.

"أما سيبويه فربط المصادر التي جاءت على وزن (الفعلان) بالاضطراب والحركة، مثل: (الغثيان، الغليان...)"³¹ فالصوت عنصر مؤثر في الدلالة إذ تغير هذه الأخيرة بتغير النبرة الصوتية، وابن جني منذ أكثر من ألف سنة استوعب فكر أسلافه في هذا الميدان ، وبني عليه درساً متكاملاً، فقد انطلق في دراسته وأبحاثه من الملامح التي رسماها الخليل وسيبوه ، فقال في باب (إمساس الألفاظ أشباه المعاني): مقابلة الألفاظ بما يشاكلاً أصواتها من الأحداث باب عظيم واسع... من ذلك قوله: خضم وقضم، فالخضم للأكل الرطب كالبطيخ ، وما كان نحوه من المأكول الرطب، والقضم للصلب اليابس، نحو قضم الدابة شعيرها...³² ، فالخاء مرتبطة بالرخاوة والقاف بالصلابة والشدة، فتغير العرف أو الصوت يؤدي إلى تغير في المعنى وفي الدلالة ، يقول الله تعالى: "فِيهَا عِينان نَضَّا خَتَانٌ"³³ فالنضخ كما هو معلوم للماء، وفي الآية الكريمة وردت لفظة (نضختان) بالخاء، فهي للدلالة على الشدة والقوية، إذن الحاء مرتبطة بالضعف ، والخاء بالقوية.

ويرى بعض اللغويين أنه إذا حدث إبدال أو إحلال صوت ما، في كلمة بصوت آخر في كلمة أخرى أدى ذلك إلى اختلاف دلالة كل منهما عن الأخرى ، ويعرف هذا الإحلال الصوتي في علم اللغة الحديث ، بالتوزن التقابلي، إذ يحل فونيم محل آخر في كلمة ما، فتنشأ كلمة ذات معنى مختلف.³⁴ والأمثلة في هذا الشأن كثيرة ومتنوعة ، ونحن هنا أردنا أن نبين تلك العلاقة الضرورية التي تربط علم الدلالة بعلم الأصوات.

4-2- علم الدلالة وعلم الصرف: ينبغي أولاً أن نعرف علم الصرف ونقف عند مفهومه اللغوي والاصطلاحي فنقول: جاء في شذا العرف في فن الصرف" الصرف ويقال له التصريف وهو لغة : التغيير ، ومنه تصريف الرياح أي تغييرها.

اصطلاحا: تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة لمعانٍ مقصودة لا تحصل إلا بها ، كاسم الفاعل والمفعول، واسم التفضيل والثنية والجمع إلى غير ذلك. وبالمعنى العلمي : علم بأصول يعرف بها أحوال أبنية الكلمة التي ليست بإعراب ولا بناء".³⁵

وتتغير دلالة الألفاظ بتغير الصيغة الصرفية ، فلا يكفي لبيان معنى (استغفر) بيان معناها المعجمي المرتبط بمادتها اللغوية (غ ف ر) ، بل لابد أن يضم إلى ذلك معنى الصيغة وهي هنا وزن (استفعل)، أو الألف والسين والتاء التي تدل على الطلب،³⁶ فنجد في اللغة العربية لفظة (قطع) تفيد الفصل لكن لفظة (قطع) بالتضعيف توحى بالمبالغة ، وتعدت هنا المعنى الأول إلى المعنى آخر، ومثل ذلك قوله تعالى في امرأة العزيز: "وغلقت الأبواب".³⁷ فقد جاء الفعل على صيغة (فعل) بالتضعيف، ليتعدى مجرد الغلق البسيط ، إلى الغلق بإحكام وشدة ، ولا ننسى بذلك جهود ابن جني في هذا الشأن، حين وضع أبواباً للدلالة مثل (باب في قوة اللفظ لقوية المعنى)، وباب في (مناسبة الألفاظ للمعاني).

وإذا أخذنا مثلاً الفعل كتب نستطيع أن نصيغ منه صيغًا كثيرة منها ، الفعل المضارع يكتب، الأمر اكتب، اسم الفاعل كاتب، صيغة المبالغة كتاب، اسم التفضيل أكتب، واسم الزمان والمكان مكتب، واسم

الآلية مكتاب، فكل تحرّك في معنى اللّفظ المشتق عن المعنى الحرفي ينّقله إلى الاشتقاء الدلالي،³⁸ فكلمة (كاتب) بمعنى أديب أو محرر في صحيفة، تحرّكت فيها دلالة الكلمة عن مجرد الخط بالقلم، ودخل فيها معنى المفكّر والمبدع، وما إلى ذلك.

3-4 علم الدلالة وعلم النحو: أعطى اللغويون منذ عهد مبكر عنایة خاصة بوظائف النحو ومعانيه، فقد أكدوا أن الأنظمة اللغوية وقوانينها عنصر حاسم في تحديد الدلالة اللغوية وفهم المعنى، لأن انشغالهم كان منصبا حول النص القرآني بغية فهمه وفك إيهاماته، فتغيّير مكان الكلمات داخل الجملة يؤدي بالضرورة إلى تغيير المعنى أي تغيير الوظيفة النحوية، فهناك فرق مثلاً بين قولنا: 'ضرب الأستاذ التلميذ' و 'ضرب التلميذ الأستاذ' ، فتغير كلمة أستاذ داخل الجملتين أدت إلى تغيير معناها ، ففي المثال الأول عبرت عن الفاعل ، والمثال الثاني عبرت عن المفعول به ، ولو لم يؤد تغيير مكان الكلمات في الجملة إلى تغيير المعنى ، ما كان هناك فرق بين قوله: طارد الكلب القط وطارد القط الكلب،³⁹ وبين سببويه علاقة ظاهرة ولازمة بين علم الدلالة والنحو عندما عقد باب المسند والمسند إليه، مبينا من خلاله أن بناء الكلام على أصل معين ومن خلال نظام نحوي معين، ومن ثم الانتقال من هذا الأصل إلى توليد نماذج فرعية كثيرة ، وما يطرأ على الصور الأصول والفروع من متغيرات عارضة، تقتضي الصناعة النحوية، كل ذلك لغاية المعاني والدلّالات،⁴⁰ هكذا يتبيّن في هذا الباب تشكّل العلاقات التركيبية والدللية.

وتعتّد نظرة علماء العربية وظيفة القواعد النحوية وترتيب الألفاظ وفق تلك القواعد لتأدية المعنى إلى العلاقة بين مفردات التركيب، قال السكاكى: "اعلم أن علم النحو هو أن تنحو إلى معرفة التركيب فيما بين الكلم لتأدية أصل المعنى مطلقاً بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب وقوانين مبنية عليها ليحترز بها عن الخطأ في التركيب من حيث تلك الكيفية وأعنى التركيب، تقديم بعض الكلم على بعض ورعاية ما يكون من الميّزات".⁴¹ فلا تتوصل إلى المعاني المراده إلا بتفحص الجمل وتركيبها وما مدى حدوث التقدّم والتأخير فيها ، لأن الدلّالات تتأتى من صورة خاصة في التأليف فلابد أن يكون لكل كلمة تعلق بالأخرى ، وهذا ما يعرف بالإسناد ، فقد ارتبط النحو بالإسناد كما يلاحظ في كتاب سببويه "فإسناد دلالة تركيبية في العربية الفصحى، وهو إما إسناد في الجملة الفعلية أو الاسمية، وأن القاعدة العامة التي تحكم تركيب الجملة أن كل علاقة تزيد في الجملة على علاقة الإسناد، إنما ينشئها المتكلم للبيان وإزالة الإبهام وغموض قد يعترى المعنى الدلالي للجملة، وإن لم ينشئ المتكلم تلك العلاقة".⁴² لأن الأساس هو الوصول إلى المعاني ولا يتأتى ذلك إلا بحسن التركيب والتأليف ، وهذا ما يطلق عليه الدلالة التركيبية أو حديثاً 'علم دلالة الجملة' ، أو 'علم الدلالة التركيبية' ، وهو العلم الذي يهتم ببيان معنى الجملة أو العبارة، وقد بدأ بحث دلالة الجملة مواكباً لوضع علم النحو العربي،⁴³

وما يؤكد كلامنا ما تداولته الروايات حول أسباب نشأة علم النحو ، وذلك الانتشار الواسع للحن ، فما روی أن ابنة أبي الأسود الدؤلي التي لحت بحضرته ، فصوب لها خطاؤها ، ووصل اللحن حتى إلى قراءات القرآن الكريم في عهد الصحابة رضوان الله عليهم ، فاستنكر اللحن كثيرا ، وسبب انتشاره راجع لاختلاط العرب بالأعجم ، وهذا ما عجل في وضع علم النحو ، لحماية اللسان العربي من اللحن وإفساد المعانى والدلالات التي يحملها الكلام العربى ، ومن أمثلة اللحن الذى وقع ، في قراءة آية من سورة التوبه " وأن الله بريء من المشركين ورسوله".⁴⁴ بجر لفظة 'رسوله' ، وهي بهذا المعنى معطوفة على المشركين وهذا باطل.

والدلالة النحوية رأها بعض اللغويين في تغيير المعنى بين الجملة الفعلية والاسمية ، فمثلا حين نقول في الجملة الفعلية: قام محمد ، والاسمية: محمد يقوم ، فالثانية تعطي توكيدا لا نجده في الأولى ذلك يأتي من إسنادها الفعل للفاعل مرتين ، مرة إليه وهو الاسم الظاهر ، ومرة إلى ضميره المستتر أي التوكيد الحاصل في المثال الثاني 'محمد يقوم' ، كان بإسناد الفعل إلى محمد مرتين ، مرة 'محمد يقوم' وهذا اسم ظاهر في الجملة (محمد) والثانية ضمير مستتر تقديره (هو) يعود على (محمد) ، وطبعا الإسناد مرتين أقوى في الدلالة ، والأمثلة كثيرة، بفعل ما أوجده الجرجاني في نظرية النظم.⁴⁵

وكما رأينا آنفا أن الإسناد عنصر رئيس في الجملة، هو الذي يحقق المعنى المراد كما عبر عنها عبد القاهر الجرجاني بقوله: "لكل كلمة مع صاحبها مقال" ، ويقول في باب الفصاحة والبلاغة: "فقد اتضح إذن اتضاحا لا يدع للشك مجالا، أن الألفاظ لا تتفاصل من حيث هي ألفاظ مجردة ولا من حيث هي كلام مفردة، وأن الألفاظ تثبت لها الفضيلة، وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تلتها أو ما أشبه ذلك، مما لا تعلق له بصريح اللفظ، وما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة وتروقك، وتؤنسك في موضع، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر".⁴⁶ فالألفاظ لها علاقة بما قبلها وما بعدها لكون التركيب اللغوي يشتمل مجموعة من العلاقات للوصول إلى الدلالة السياقية.

4-4 علم الدلالة والمعجم: يعد المعنى المعجمي تلك الرابطة والعلائق بين علم الدلالة وعلم المعاجم، والمعنى المعجمي يتصل اتصالا وثيقا بعلم الدلالة وعلم المفردات وعلم المعاجم، فكل كلمة من كلمات اللغة العربية تحمل دلالة معجمية مستقلة عما توجيهه أصواتها أو صيغتها من دلالات زائدة على تلك الأصلية، ويطلق عليها الدلالة الاجتماعية ، وعندما تنتظم الكلمة ضمن الجملة تصاف إليها كل الدلالات الأخرى ولا يتم الفهم إلا بال الوقوف عندها جميعها ، والتصنيف المعجمي ضرب من النشاط الدؤوب للحفاظ على جوهر اللغة العربية الفصحى ، وبه أخذت تتكامل صورة مفردات اللغة على نحو يناظر ما كان من إقامة أركان النحو والصرف، كل هذا بغية حماية اللغة العربية من الوقوع في اللحن والخطأ، والتتفقه في القرآن الكريم استدعي عناء باللغة بالغريب وشرحه حفاظا على النص القرآني ، وتنوعت هذه المعاجم وتفرقت واهتم بعضها بالألفاظ واختلف حسب ترتيب الألفاظ من حيث المخاج الصوتية وبمقاييس صرفية ، وكذلك الإعلال والتضعيف ، وبأساليب اعتبار تقاليب الأصل الواحد، واهتمت معاجم أخرى بالموضوعات أي

حرصت على ترتيب مجموعة من الألفاظ و إخضاعها إلى سياق معين وقد كان هذا التراث اللغوي العربي عندما وضع جامعوا اللغة ما يسمى بالرسائل اللغوية مثل كتاب الإبل وغيرها، وهكذا ظهرت علاقة متينة بين علم المعاجم وعلم الدلالة، الذي يعني بالمعنى الذي تحمله الكلمة، فهذا التصنيف الموضوعي أكبر دليل على وجود علاقة تعرف بالمعنى المعجمي.⁴⁷

"وقد عرف بعض علماء اللغة علم الدلالة بأنه ذلك الفرع من علم اللغة الذي يقوم بدراسة المعنى المعجمي".⁴⁸ رغم أن هذا التعريف يكاد يحصر وظيفة علم الدلالة في أنه يهتم بدراسة المعنى المعجمي لوحده، إلا أنه استطاع أن يبين لنا علاقة لازمة بين علم الدلالة والمعجم. إذن يمكننا اعتبار علم المعاجم جزءاً من علم الدلالة، كون علم الدلالة يهتم بدراسة المعنى على صعيدي المفردات والتركيب، ولا يمكن لعلم الدلالة دراسة المعنى بعيداً عن المعاني الرئيسية أي المعاني المعجمية، ثم يتجاوز علم الدلالة ذلك، إلى معانٍ نحوية ثم معانٍ اجتماعية.

5- علاقة علم الدلالة بالعلوم الأخرى: لم تكن نشأة علم الدلالة نشأة مستقلة عن باقي العلوم اللغوية الأخرى، فإذا عدنا إلى تاريخه نجده جزءاً لصيقاً بعلم اللسانيات ، الذي كان يهتم بدراسة اللسان البشري ، إلا أن "تجاهل علماء اللسان دلالة الكلمات، هو الذي دفع بعض العلماء اللغويين إلى البحث عن مجال علمي يضم بحثاً في جوهر الكلمات ودلالة لها وهذا ما أشار إليه برييل".⁴⁹

علماء اللسان ركزوا بحوثهم في الجوانب الصورية للغة، أي شكل الكلمات وتجنبوا الخوض في استبطان جواهر الكلمات ومعانيها، الذي أصبح حديثاً من اهتمامات علم الدلالة، ولم يكن شأن الدلالة يعني اللغويين فقط، بل تجاوز الاهتمام ذلك وتعدد وأرق العلماء والباحثين على اختلاف تخصصاتهم ومنطلقاتهم ، فاهتم بها الفلسفه والمنطق وعلم النفس وعلماء الاجتماع، وغيرهم.⁵⁰ وارتبط علم الدلالة ارتباطاً وثيقاً بالفلسفه والمنطق باعتبار أن إرادة المعنى وتحصيل الكلام كما هو معروف هو منتهى الكلام، "إذ لا يعقل أن يتكلم وهو لا يعني، أو لا يربط حبل التواصل بغيره وهو لا يريد أن يدل".⁵¹ لذلك كان الاهتمام كبيراً بعلم الدلالة، والمعنى أصبح محور اهتمام جميع العلوم.

5-1- علم الدلالة والفلسفه والمنطق: لقد لمحنا فيما سبق إلى علاقة وطيدة ربطت علم الدلالة بالفلسفه والمنطق ، بل إن الفلسفه والمنطقة اهتموا اهتماماً كبيراً بعلم الدلالة حتى عد من اختصاصهم في تلك الحقبة، ليستقل بعد ذلك شيئاً فشيئاً ويصبح موضوعاً من موضوعات علم اللغة ، فالفلسفه تقوم بشرح ما يتوصل إليه علم الدلالة وربما كان علم الدلالة إجابة عن سؤال للفلسفة.⁵²

هذا لكون الفلسفه أم العلوم تمتد اهتماماتها لتشمل كل النتائج التي تتوصل إليها العلوم الأخرى، وتعكف الفلسفه على شرحها وتحليلها ، " فقد ظلت دراسة جانب المعنى من اللغة حكراً على الفلسفه وعلماء الإنسنة لعقود طويلة، قبل أن يستقل في العصر الحديث، ويصير شأننا لغوياناً له أهله ودارسوه".⁵³

هكذا إذن كانت الفلسفة السباقية إلى دراسة المعاني وتحليلها، لذا نستطيع القول أن اهتمامات علم الدلالة كانت من اختصاص الفلسفة قديماً، إذن هنا ينوب الفرق بين الفلسفة وعلم الدلالة كونهما اهتما بموضوع واحد وهو دراسة المعنى، وهذا ما يبين بوضوح قدم العلاقة بين الفلسفة وعلم الدلالة ، واليونان كما هو معروف تعد مهد الفلسفة والمنطق ، واهتماماتهم بعلم الدلالة ينبع ولا شك بالعلاقة القوية والمتينة التي تربط الفلسفة بعلم الدلالة، وأبرز دليل على ذلك تلك التساؤلات والإشكالات التي طرحتها فلاسفة ذلك العصر المتعلقة بالمعنى، ما هي شروط العدالة؟ وماذا تعنون بهذه الكلمة المجردة؟ وماذا تعنون بكلمة الشرف والفضيلة؟ والأخلاق الوطنية؟⁵⁴ فهذه ولاشك إشكاليات متعلقة بالمعنى، بمعاني المصطلحات المطروحة وأبعادها وهذا ما يكون من صميم واحتياط علم الدلالة.

كما تساءل فلاسفة اليونان عن كون العلاقة بين شكل الكلمة ومعناها ضرورية أم لا؟⁵⁵
هنا تتضح علاقة تكاملية بين علم الدلالة والفلسفة والمنطق أساسها المعنى.

5-2- علم الدلالة وعلم النفس وعلم الاجتماع: يأتي علم النفس في المرتبة الثانية بعد الفلسفة من حيث اهتمامه بالدلالات وبالمعنى، واهتم علم النفس بمعالجة الجانب الذاتي للغة، نتيجة اهتمامه بالإدراك ، باعتبار الإدراك ظاهرة فردية، فقد طور علماء النفس وسائل عددة للوصول إلى معرفة درجة التفاوت والاختلاف بين الناس في إدراك الكلمات ، أو في تحديد ملامحها الدلالية "كذلك يهتم علم النفس بكيفية اكتساب اللغة، عملية وتعلمها ودراسة السبل التي بها يتم التواصل البشري وغير البشري عن طريق اللغة".⁵⁶ فعملية التواصل أساسها التفاهم أي عملية تتطلب وجود معنى لكي يتم التواصل، واهتمامات علم الدلالة لا تقل شأنها عما يبحث فيه علم النفس ، وأبعد من ذلك نجد علم الدلالة يهتم بالناس وعاداتهم الاجتماعية وطرق الاتصال القائمة بينهم والآلات والوسائل المستخدمة في ذلك، "حيث يتجاوز اللغة بوصفها مظهراً فردياً منعزلاً إلى كونها ظاهرة اجتماعية تحمل مظاهر الاستعمال الفردي المطبوع بطابع الجماعة اللغوية، فتحدث عملية التفاعل اللغوي ولا تتحقق إلا في المجتمع، باعتبار اللغة أداة تواصلية ، والفرد حيث يتلقى اللغة فهو يتلقى معها ثقافة المجتمع وحضارته ودينه وعاداته وتقاليده".⁵⁷ تنشأ بهذه الصورة علاقة تكاملية بين علم الدلالة وعلم النفس وعلم الاجتماع فكل طرف يصب اهتمامه على جانب المعنى، ثم بواسطة المعنى الذي يختلف من شخص لآخر نتيجة ارتباطه بالإدراك فكل فرد وطريقة إدراكه للموجودات وللمعاني وهكذا تتحقق العملية التواصلية في المجتمع.

5-3- علم الدلالة والحقائق البيولوجية والفيزيائية: يتوجه جزء كبير من اهتمامات علم الدلالة إلى العمليات العضوية المركبة في الفم، وفي أعضاء النطق بالنسبة للمتكلم، ويتبين ما يحدث من اهتزازات هوائية تلتقطها أذن السامع وهو يسير وراءها أبعد من ذلك ليرى كيف تتحول إلى إشارات عن طريق الجهاز العصبي، وكيف يتلقى العقل هذه الإشارات من خلال الأعصاب الممتدة من الأذنين، ويترجمها بعد ذلك إلى

الفكرة التي يعنها المتكلم⁵⁸ وهذا لا يستطيع الدرس الدلالي أن يستغني عن الكثير من الحقائق البيولوجية والفيزيائية والفيزيولوجية، هكذا يتبع امتداد علم الدلالة وعلاقاته.

- الهاشم:

¹ الأزهري، تهذيب اللغة قسم(دلل) دار إحياء التراث العربي، بيروت ط1، ص14

² الأصفهاني، المفردات، دار المعرفة بيروت، لبنان، ص173.

³ إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو مصرية، 1997، ص28

⁴ المرجع نفسه، ص28

⁵ ينظر: محمود السعران، علم اللغة، دار الفكر العربي، القاهرة ط2، 1997، ص264.

⁶ أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة ط5، 1998، ص11

⁷ ينظر: المرجع نفسه، ص 12/11

⁸ أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص12

⁹ محمد محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والاتصال، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2004، ص12

¹⁰ ينظر: المرجع نفسه، ص 12

¹¹ ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 17

¹² فايز الداية، علم الدلالة العربي، ص.7.

¹³ ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 18

¹⁴ المرجع نفسه، ص18

¹⁵ ينظر: المرجع نفسه، ص 20

¹⁶ أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص18

¹⁷ فايز الداية، علم الدلالة العربي، النظرية والتطبيق، ص8

¹⁸ محمود السعران، علم اللغة، ص 273

¹⁹ ينظر: المرجع نفسه، ص 239/238

²⁰ ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 23

²¹ المرجع نفسه، ص24

²² ينظر: المرجع نفسه، ص 24

²³ ينظر: المرجع نفسه، ص 29/28

- ²⁴ ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 20
- ²⁵ محمود السعراي، علم اللغة، ص 258/259
- ²⁶ عقید خالد حمودی العزاوی، علم الدلالة، دراسة وتطبيقات، دار العصماء، دمشق، سنة 2011، ص 10
- ²⁷ الجاحظ، البيان والتبيين 1، المطبعة الرحمانية، القاهرة، 1932، ج 1، ص 139
- ²⁸ ينظر: عقید خالد حمودی العزاوی، علم الدلالة، دراسة وتطبيقات، ص 12
- ²⁹ ينظر: المرجع نفسه، ص 14
- ³⁰ ينظر: هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي، ص 50
- ³¹ المرجع نفسه، ص 50
- ³² ينظر: هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي، ص 51
- ³³ سورة الرحمن، الآية 66
- ³⁴ عقید خالد حمودی العزاوی، علم الدلالة، ص 26
- ³⁵ أحمد الحمالوي، شذا العرف في فن الصرف، مؤسسة الرسالة، ط 1، بيروت 2003، ص 15
- ³⁶ أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 13
- ³⁷ سورة يوسف، الآية 23
- ³⁸ ينظر: عقید خالد حمودی، علم الدلالة، ص 28
- ³⁹ ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة ، ص 13
- ⁴⁰ ينظر: هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي، ص 109
- ⁴¹ عقید خالد حمودی، علم الدلالة، ص 45
- ⁴² المرجع نفسه، ص 45
- ⁴³ ينظر: المرجع نفسه، ص 45
- ⁴⁴ سورة التوبة، الآية 03
- ⁴⁵ ينظر: عبد العزيز أحمد علام، في علم اللغة العام، مكتبة المتنبي، ط 1، السعودية، 2006، ص 262
- ⁴⁶ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 38/39
- ⁴⁷ ينظر: فايز الدایة، علم الدلالة العربي، ص 204/205
- ⁴⁸ خليفة بوجادى، محاضرات في علم الدلالة، بيت الحكم، ط 1، 2009، ص 95
- ⁴⁹ ينظر: منقور عبد الجليل، علم الدلالة، أصوله ومبانيه، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص 19
- ⁵⁰ خليفة بوجادى، محاضرات في علم الدلالة، ص 88
- ⁵¹ نواري سعودي أبو زيد، الدليل النظري في علم الدلالة، دار الهدى، عين مليلة-الجزائر-2007، ص 48

⁵² خليفة بوجادي، محاضرات في علم الدلالة، ص 15

⁵³ نواري سعودي، الدليل النظري في علم الدلالة، ص 54

⁵⁴ ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 15

⁵⁵ خليفة بوجادي، محاضرات في علم الدلالة، ص 16

⁵⁶ أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 15

⁵⁷ المرجع نفسه، ص 15

⁵⁸ ينظر: أحمد مختار عمر، ص 16

المراجع المعتمدة:

1- إبراهيم أنيس، دلالة الألاظف، مكتبة الأنجلو مصرية، 1997

2- أحمد الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، مؤسسة الرسالة، ط 1، بيروت 2003

3- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة ط 5، 1998

4- الأزهري، تهذيب اللغة قسم(دلل) دار إحياء التراث العربي، بيروت ط 1

5- الأصفهاني، المفردات، دار المعرفة بيروت، لبنان، ط 1، 1412هـ.

6- الجاحظ، البيان والتبيين 1، المطبعة الرحمانية، القاهرة، 1932، ج 1

7- خليفة بوجادي، محاضرات في علم الدلالة، بيت الحكم، ط 1، 2009

8- عبد العزيز أحمد علام، في علم اللغة العام، مكتبة المتنبي، ط 1، السعودية، 2006

9- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مطبعة المدنى بالقاهرة، ط 3 1992

10- عقید خالد حمودي العزاوي، علم الدلالة، دراسة وتطبيقات، دار العصماء، دمشق، سنة 2011

11- فايز الديبة، علم الدلالة العربي، النظرية والتطبيق، دار الفكر المعاصر ط 9، 2011

12- محمد محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والاتصال، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط 1، 2004

13- محمود السعران، علم اللغة، دار الفكر العربي، القاهرة ط 2، 1997.

14- منقور عبد الجليل، علم الدلالة، أصوله ومباحثه، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001

15- نواري سعودي أبو زيد، الدليل النظري في علم الدلالة، دار الهدى، عين مليلة-الجزائر-2007

16- هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي، دار الأمل، عمان، الأردن، ط 1، 2007.